كما في جودة التدريس والبحث اللغوي والإعلام.. فإن مفهوم الأخلاق أساسيّ

غسان مراد

يشير مصطلح "الأخلاقيات المهنية" إلى مجموعة المبادئ والقواعد الأخلاقية التي تدير النشاط المهني وتوجهه. هذه الnoun معايير هي التي تحدّد الحدّ الأدنى من الواجبات المطلوبة من المهنيين في أداء نشاطهم. والمعلم، كما الإعلامي والباحث اللغوي، عليه أن يتمتع بأخلاقيات مهنته.

تريد الأخلاقيات من التدريس تحديد ماهيته، وأين يبدأ، وأين يتوقف، وتحديد الغموض أو عدم شرعية ممارسات معينة، فالعملية التربوية تهدف إلى النقل الصريح للمعرفة على جميع مستوياتها، وبجميع أشكالها. ومهما كانت الآليات المستخدمة في نقل المعرفة، فعليها أن تتبع منهجيات تناسب المتلقي وما يمثله والقيم التي "تشرّبها"، بحسب مصطلح بيار بورديو.

المعرفة في آلية اكتسابها لا تتعلَّق بالتعليم والتعلّم فحسب، بل تأتي من الأدب أيضًا، كما من الإعلام، إضافةً إلى كل موروث ثقافي شامل عبر التاريخ. ومثلما ينبغي للأديب التمتع بأخلاقيات الإنتاج الأدبي، كذلك الأمر بالنسبة إلى الناقد الأدبي والباحث في المجال الأدبي.

بالنسبة إلى الإعلام، إنَّ مصطلح "أخلاقيات المهنة" من أول المفاهيم التي يكتسبها المتعلّم، وهو ما ينطبق أيضًا على تحليل اللغة ومنهجياتها، سواء أكانت مقارنة أم تداولية أم غير ذلك... هذه المواضيع المتعلقة بجودة التعليم والبحث عن آليات مثمرة للتعليم والتعلّم، كما المواضيع المتعلّقة بالإرث الثقافي المتعدّد وأثره في اكتساب المعرفة، إضافةً إلى الدراسات الأدبية واللسانية، هي ضمن محاور هذا العدد من مجلة "دراسات جامعية في

الآداب والعلوم الإنسانية" التي تصدر، للتذكير فقط، كل 3 أشهر عن مركز الأبحاث والدراسات في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية.

ترتبط مواضيع هذا العدد بطرح مسألة الأخلاق الخاصّة بالفعل التربوي كمفهوم شامل، بناءً على نتائج الأبحاث المتعلقة ببناء الأخلاقيات المهنية لمنتجي المعرفة أثناء تدريبهم وعند دخولهم المهنة، من أجل الوصول إلى جودة نقل المعرفة. بالنسبة إلى العملية التعلّمية، إنَّ الجودة، مهما كانت فرضياتها، تتعلّق بأخلاقيات تطبيقيّة التعليم، إن كان في بناء احتراف التدريس الذي يحتاج إلى الأخلاق من مصدر مؤسسي، أو قدرة المعلم على اكتساب الثقة ونقل المعرفة، شرط أن يكون قد تلقى تدريبًا، بهدف مساءلته عن أفعاله.

إنَّ مهنة التدريس، مثل مهنة الإعلامي أو الأديب، تواجه هذا الطلب الّذي يبدو لأول نظرة حالة عامة، ومن المفترض به أن يشهد على أخلاقياته الخاصة. لهذا، يُطلب من الفاعلين في هذه المجالات إضفاء بُعد أخلاقي على التزامهم المهني، ليكونوا قادرين على القيام بتأمل أخلاقيّ يصاحب ممارسة مهنتهم بشكل حاسم.

هذه الوصية الأخلاقية أكثر من مجرد موضة عابرة أو تعبير عن فوضى معاصرة، وهي مدفوعة بحركة فكرية تُعتبر صدى لما بعد الرقمنة في التعليم والإعلام والأدب، مهما تعدّدت الأنواع. وما ينطبق على الممارسات "الكلاسيكية"، ينطبق على الممارسات الحالية، بعد أن بات الوسيط الرقمي هو اللاعب الأساسي في مجمل العمليات المطروحة، والذي يحتاج إلى متطلبات مختلفة في المنهج، ولكن الأخلاقيات تبقى أساسية في الممارسة، وهي ليست إلا العمود الأساسي في منظومة القيم التي يتمتع بها كل مجتمع؛ منظومة باتت متأرجحة بين الموروث الثقافي وتأثيرات الرقمنة في الإنتاج المعرفي.

انطلاقًا من ذلك، تبين الدراسة الأولى أنَّ ضمان جودة التعليم عبر الإنترنت مرتبط بشكلٍ وثيقٍ بدعم المعلمين للحصول على دروس رقمية مصَمَّمة بشكلٍ جيدٍ على أن تتماشى مع المناهج الدراسية. كما يجب أن تحتوي

هذه الدروس بعض العناصر الأساسية التي تراعي طرائق بناء المعرفة، ومدى مطابقة الأنشطة لأساليب التعلم، ودرجة الثراء في التعلم التجريبي النشط. لذلك، يجب تحفيز المتعلمين وإعطاؤهم فرصًا للمشاركة، بحيث يصبح بإمكانهم تحمل مسؤولية تعلمهم، وبالتالي بناء استقلاليتهم كمتعلمين.

أما الدراسة الثانية، فهي تتعلق بتعليم اللغات الأجنبية، وتهدف إلى إبراز كيفية تمكّن الطلاب الذين يتخصّصون في مجال السياحة من تطوير مهارات لغوية تسمح لهم بالتواصل باللغة الفرنسية في مجال تخصصهم. وبالتالي، فإنّنا نحاول إبراز التعدّدية في السياحة وكيفية انخراطها في مجال تعليم اللغات الأجنبية، ولا سيّما في مجال تعليم اللغة الفرنسية، لأهداف محدّدة. هذه الدراسة تسعى إلى إبراز الترابط بين تصميم منتج سياحي، ولا سيما الدائرة السياحية، وتصميم مورد تعليميّ يوضح الجزء اللغوي من المنتج السياحي موضع الدراسة.

وتهدف الدراسة الثالثة إلى التعرّف إلى التمثلات الاجتماعية التي يحملها الطالب الجامعي حول عوامل النجاح في مواجهة التحدّيات الاجتماعية في المجتمع الجزائري. وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود تعارض في تمثّلات الأفراد في المجتمع الجزائري لعوامل النجاح في مواجهة التحديات الاجتماعية بين عالم الدلالة والمفاهيم، الذي يركّز على القيم الدينية والأخلاقية، وعالم الممارسة القائم على قيم السلطة والمال والعلاقات الشخصية.

وتحاول الدراسة الرابعة كشف طبيعة علاقات الجيرة في المدينة ضمن إطار الأنثروبولوجيا الحضرية وفق عينة قصدية من أرباب الأسر مكونة من 150 فردًا من مجتمع البحث، يبلغ عدد مساكنهم 1500 مسكنًا في حي العسكري الغربي الواقع في أطراف مدينة الشامية، اعتمادًا على المنهج الأنثروبولوجي وأدواته وتقنياته المناسبة، وعلى المقابلة والملاحظة والمخبرين.

وقد توصّل البحث إلى جملة من الاستنتاجات، منها أن العالم الافتراضي وجائحة كورونا غيّرا حياة المجتمع تغيرًا جذريًا في بعض الجوانب، فتبدّلت علاقات الجيرة الحميمة والتواصل الدائم وتبادل الزيارات، وقاد إلى عدد

من التوصيات، أهمها ضرورة مراعاة الدولة للخلفيات الثقافية للسكان قبل توزيع الأراضي السكنية على الساكنين الجدد.

بالانتقال إلى مجال الصحافة، انطلاقًا من التغيّرات التقنية في هذا المجال والإشكاليات التي تعانيها الصحافة الورقية، تبيّن لنا الدراسة أنَّ التقنية الرقمية، من إعلام رقمي وإنترنت ووسائل تواصل اجتماعي، انتزعت من الصحافة الورقية وظائفها التقليدية المتعدّدة، وهدّدت دورها واستمراريتها.

كما تبين أنّ الصحافة في لبنان دخلت في مسار مهني متقدّم يختلف جذريًّا عمّا كان سائدًا في آلية العمل، فقد تحوّلت من الوظيفة الخبرية، الطاغية على صفحاتها، إلى التحليل والقراءة الإخبارية والتفسير والمعلومات الجديدة ومنح الحدث أبعادًا جديدة.

ولا تغيب عن الصحافة الوظيفة المركزية، أي نقل المعرفة إلى الأفراد، والتأثير في عمليات الإدراك والوعي والتفاعل لدى المتلقّي في بحثه عن الخلفيات والأبعاد، وهو ما يجعلها مصدرًا أساسيًا ومهمًّا للمعلومة والفكرة وصناعة الرأي، ولم تتمكن أي وسيلة إعلامية أخرى (تقليدية أو حديثة) من مجاراتها لأسباب بنيويّة وعملية.

وفي الرواية، تتناول المقالة تغيير جنس كبش الفداء في أسطورة "مدام بوفاري" الذي يظهر في رواية "الرقص على حافة الهاوية" لغريغوار دولاكور، وتجري فيها المقارنة بين الرواية الأصلية لهذه الأسطورة الأدبية من القرن التاسع عشر ورواية "دولاكور" المنشورة في القرن الواحد والعشرين، من خلال إبراز نقاط التشابه والاختلاف بين السرديتين.

وتجري دراسة تأنيث الذنب وذكورة كبش الفداء، فيظهر بذلك قلب الأدوار ذو الدلالات الاجتماعية على صعيد وضع المرأة؛ ففي الرواية الأصلية، إنَّ مدام بوفاري هي كبش الفداء، على عكس رواية "الرقص على

حافة الهاوية"، حيث يموت الزوج والعشيق. هكذا، نشهد في رواية "دولاكور" تحديث هذه الأسطورة الأدبية في عصرنا الحالي، إذ تتشارك المرأة دور الرجل على المستوى المهني والاجتماعي والسياسي.

وفي محور العلوم اللغوية، يعالج البحث مسألة خطاب السيرة الذاتيّة من زاوية تداوليّة تحاوريّة، ويرصد مختلف مظاهر التحاور بين الأصوات في هذا النوع من الخطابات الأدبيّة، في ضوء المقاربة التداوليّة، ومن المنحى التحاوريّ على وجه الخصوص.

تعتمد الدّراسة على مدوّنة أدبيّة من نوع "السيرة الذاتيّة"، بحسب غلافها، تحمل عنوان "حين كنت رجلًا" لإلهام منصور، وتدرس المباحث التداوليّة التحاوريّة، بناءً على اقتباسات واستشهادات مقتطفة من هذا النصّ. وضمن دراسات طلاب الدكتوراه وأبحاثهم التي بدأنا بإدراجها ضمن محاور المجلّة، ندرج في هذا العدد مقالةً تعالج المفهوم الليبرالي للانتماء الثقافي في العصر الحالي.

ويسلط النصّ بعض الضّوء على إحدى الأفكار الأساسية في فكر ويل كيمليكا؛ المفكّر الكندي المعاصر المشهور بعمله في مجال التعددية الثقافية. وتؤكّد الدراسة أهمية الانتماء الثقافي في تعزيز تنمية الفرد وتطوره وعلاقته بالآخر، وتخلص إلى أننا نحتاج إلى ثورة دائمة على المستوى العلمي والتربوي.